

المجتمع الافتراضي (نحو مقاربات سوسيولوجية)

د. بومدين مخلوف

جامعة محمد بوضياف - المسيلة - الجزائر

الملخص:

مجال نسق العلاقة بين متغير المجتمع وتكنولوجيا الإعلام والاتصال (tic) يلاحظ مدى احتلال العملية الاتصالية في الآونة الراهنة مكانة مجتمعية، وتعد هذه العلاقة والذي يتحدد أساسا في ظهور وتجديد انفجار تكنولوجي اتصالي مستحدث، وتنوع عمليات الاستخدام والذي يرتبط أساسا في قدرة التكنولوجيا على تلبية حاجات ورغبات الأفراد المتنوعة.

Abstract:

The relationship between the variable society and, information and communication technology (tic) shows the extent to which the communicative process is currently occupying a societal position. This relationship is determined mainly by the emergence and renewal of an innovative communication technology explosion and the diversity of the use processes, which is mainly related to the technological ability to meet the various needs and desires of individuals.

مقدمة:

ضمن هذا النسق التصوري (*la structure*) وجود العلاقة التنافسية بين وسائل الاتصال للحصول على رضا الجمهور، قد يتميز الجمهور النشط بمشاركة إيجابية (*participation positive*) في اختيار المضامين الإعلامية، ومن منظور النظرية فهناك افتراض منهجي يقدر بأن الأفراد يمتلكون قدرة كافية على تشخيص (*diagnostic*) دوافعهم واحتياجاتهم بالطرق المناسبة،⁽¹⁾ أي أن الأفراد يختارون وبوعي (*conscience*) وسائل الاتصال التي يرغبون في التعرض لها، ونوع المضمون الذي يلبي حاجاتهم النفسية والاجتماعية (*Psychologique et social*).⁽²⁾

أما التمتع مجال نسق العلاقة بين متغير المجتمع (*société*) وتكنولوجيا الإعلام والاتصال (*tic*) يلاحظ مدى احتلال العملية الاتصالية في الآونة الراهنة مكانة مجتمعية (*statut social*)، وتعد هذه العلاقة والذي يتحدد أساسا في ظهور وتجديد انفجار تكنولوجي اتصالي مستحدث، وتنوع عمليات الاستخدام والذي يرتبط أساسا في قدرة التكنولوجية على تلبية حاجات ورغبات الأفراد المتنوعة.

⁽¹⁾ بشير علاق، ص. 80.

⁽²⁾ حسن عماد مكاوي، مرجع سابق، ص. 240.

I. نظرية الاستخدامات والإشباعات: (*La théorie des usages et gratifications*)

النظام التفسيري (*systeme explicatif*) لنظرية الاستخدامات والإشباعات يتمثل في دراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية (*fonctionnel*) منظمة؛ ودراسة العلاقة بين الجماهير ووسائل الإعلام⁽¹⁾؛ ومقاربة سوسيولوجية لموضوع دراسة المنظومة القيمية في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال (*tic*)، وكتصور استشرافي حول تعقد إشكالية العلاقة بين المستخدمين وتكنولوجيا الاتصال، يتم استنتاج سؤال محوري يتمثل في: ماذا يفعل الأفراد بتكنولوجيا الإعلام والاتصال؟

وضمن هذا التأمل الفكري فمحور العملية الاتصالية تتمثل في المستخدم (*utilisateur*) الذي يعتبر نقطة محورية، وليس الرسالة الإعلامية أو الوسيلة الاتصالية،⁽²⁾ أي أن طبيعة المستخدم وخصائصه وحاجاته (*besoins*) تتحكم بشكل أساسي في تحليل مضمون الرسالة الإعلامية، وأن الاستخدام مرتبط بقدرة

⁽¹⁾ ميلفين ديفلير وساندرا بول روكيتش: نظريات وسائل الإعلام، ترجمة: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993م، ص. 266.

⁽²⁾ صالح خليل أبو إصبع: الاتصال والإعلام للمجتمعات المعاصرة، دار الآرام، ط4، الأردن، 2004م، ص. 140.

التقنية (*technique*) على تحقيق الأهداف، واختيار الوسيلة مرتبط بإشباع حاجات ورغبات المستخدمين.⁽¹⁾

وضمن نسق نظرية الاستخدامات والإشباع فقد لخص كاتز (*Katz*) وزملاؤه افتراضات تمثلت في النقاط الآتية:⁽²⁾

- جمهور المتلقين جمهور نشط، واستخدامه لوسائل الإعلام هو استخدام موجه لتحقيق أهداف معينة.
- يمتلك أعضاء الجمهور المبادرة في تحديد العلاقة بين إشباع الحاجات واختيار وسائل معينة يرى أنها تشبع حاجاته.
- تنافس وسائل الإعلام مصادر أخرى لإشباع الحاجات مثل الاتصال الشخصي والمؤسسات الأكاديمية.
- الأحكام حول قيم العلاقة بين حاجات الجمهور واستخدامه لوسيلة أو محتوى معين يجب أن يحددها الجمهور نفسه، لأن الناس قد تستخدم نفس المحتوى بطرق مختلفة بالإضافة إلى أن المحتوى يمكن أن يكون له نتائج مختلفة.

⁽¹⁾ بشير العلق: نظريات الاتصال "مدخل متكامل"، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م، ص.79.

⁽²⁾ محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، القاهرة، 2004م، ص.222.

وبهذه الافتراضات فالنظرية تحث مستخدميها على تفعيل عملية الوعي وبناء تصورات ترتقي إلى مستوى القيمة، والمجابهة الدائمة لمحتوى وسائل الإعلام عبر نخبها العلمية والفكرية.

وضمن هذا النسق ففظرية الاستخدامات والإشباعات تحقق ثلاثة أهداف رئيسية تتمثل في:⁽¹⁾

- محاولة تحديد كيفية استخدام الأفراد لوسائل الإعلام، وذلك بالنظر إلى الجمهور النشط الذي يستطيع أن يختار ويستخدم الوسائل والمضامين التي تشبع احتياجاته.

- شرح دوافع التعرض لوسائل الإعلام والإشباعات المتحققة من هذا التعرض.

- التأكيد على نتائج استخدام وسائل الإعلام بهدف فهم عملية الاتصال الجماهيري.

وأمام هذه الأهداف وضمن سياق الأصول النفسية والاجتماعية لمستخدمي وسائل الإعلام، فلقد أدى ظهور مفهوم الإدراك الانتقائي المرتكز على الفروق الفردية إلى افتراض أن الأنماط المختلفة من البشر يختارون الأنشطة بأنفسهم ويفسرون وسائل الإعلام بطرق متنوعة ومتباينة، أي أن العوامل النفسية يمكن

⁽¹⁾ مرزوق عبد الحكيم العادلي: الإعلانات الصحفية "دراسة في الاستخدامات والإشباعات"، دار الفجر، ط1، القاهرة، مصر، 2004م، ص.126.

أن تؤدي إلى وجود حوافز وأن تحدد أصول كثيرة من استخدامات وسائل الإعلام،⁽¹⁾ وقد قدمت العديد من الدراسات الدليل الإمبريقي على دور العوامل الديموغرافية والاجتماعية في التعرض لوسائل الإعلام، مثل: ارتباط هذا التعرض بالنوع، العمر، المهنة، المستوى التعليمي والاجتماعي والاقتصادي.⁽²⁾

وأمام هذا الغموض تبقى الرغبات تساهم في عملية اختيار الوسائل والمضامين، حيث يرى شرام (*Schramm*) في هذا الشأن أن الإنسان يختار إحدى وسائل الإعلام المتاحة التي يظن أنها سوف تحقق له الإشباع النفسي المطلوب؛⁽³⁾ وعلى سبيل المثال: فالشخص الميال للعنف والمغامرات يستخدم التلفزيون لإشباع هذا الميل من خلال مشاهدة أفلام العنف؛ والمرأة التي لديها نزعة تحرر (*émancipation*) وتمرد على القيم تجد راحتها النفسية في ذلك النوع من البرامج التي تتبنى مثل هذا التوجه.⁽⁴⁾

وعليه فالاستخدام عملية معقدة تتم في ظروف معينة يترتب عليها تحقيق وظائف ترتبط بتوقعات معينة للإشباع، ولذلك فإنه لا يمكن تحديده في إطار مفهوم التعرض فقط، ولكن يمكن وصفه في إطار كمية المحتوى المستخدم، نوع

⁽¹⁾ حمدي حسن: الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام، دار الفكر العربي، مصر، 1991م، ص.21.

⁽²⁾ حسن عماد مكاي، مرجع سابق، ص.244.

⁽³⁾ وليام ريفرز وآخرون: الاتصال الجماهيري والمجتمع المعاصر، ترجمة: أحمد طلعت البشيشي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005م، ص.296.

⁽⁴⁾ محمد عبد الرحمان: كيف تؤثر وسائل الإعلام، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، السعودية، 1998م، ص.26.

المحتوى، العلاقة مع وسيلة الإعلام، طريقة الاستخدام،⁽¹⁾ وأن هذه النظرية تقع على النقيض من النظريات التي تقدر تأثير وسائل الاتصال ولأجل ذلك تلقت مجموعة من الانتقادات؛ أكثرها شهرة هي التي أوردها **ماكويل (Maquil)**:⁽²⁾

- تفرض بأن السلوك اتجاه الوسيلة يعتمد على الاختيار الواعي والعقلاني، إلا أن الملاحظ عادة أن عادات الاستخدام هي الموجهة له.

- تواجه فلسفة الاستخدامات والإشباعات باستمرار مسألة قوة تأثير مضمون الاتصال.

أما أقوى الانتقادات الموجهة لنظرية الاستخدامات والإشباعات فتكمن في الطابع الوظيفي لها، وهو ما يعني تكريس الوضع القائم والتكرار للتغيير الاجتماعي؛⁽³⁾ ونجد **شيللر (H-Schiller)** يعتبر في هذا المجال حرية الاختيار مجرد وهم، وذلك بسبب الخلط بين وفرة الكم الإعلامي، وبين تنوع المضمون، وذلك بسبب التطابق الكامل للمصالح المادية والإيديولوجية، لأصحاب الملكية الخاصة، ومن الطابع الاحتكاري لصناعة وسائل الاتصال بوجه عام، وهو ما يوفر أسباب القوة للنظام السائد لتعليب الوعي.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص. 228.

⁽²⁾ فضيل دليو: "الاتصال - مفاهيمه - نظرياته - وسائله"، دار الفجر، ط 1، القاهرة، مصر، 2003م، ص. 31، 32.

⁽³⁾ حمدي حسن، مرجع سابق، ص. 33.

⁽⁴⁾ هيربرت. أ. شيللر: المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، العدد 243، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 1999م، ص. 25- 28.

II. النظرية الحتمية التكنولوجية: (*Théorie du déterminisme technologique*)

المقاربة السوسيولوجية لمتغير تكنولوجيا الإعلام والاتصال (*tic*) الحديثة من منظور الحتمية التكنولوجية، تتمثل في بنيتها كنسق بلغ مستوى من التطور من حيث التصميم والهندسة والإبداع، وعن القوة والتأثير والهيمنة (*domination*) التي يمكن أن تشكلها ضمن محور الأنساق المجتمعية، وكذا علاقتها بنمط مجتمع الإعلام والاتصال وتنوع وتعدد (*complexité*) علاقات الاستخدام المتصلة بها.

وباعتبار الحتمية التكنولوجية تصورات (*représentation*) لتطور وسائل الاتصال وتأثيراتها على المجتمعات الحديثة،⁽¹⁾ فالنظام التفسيري (*système explicatif*) لهذه النظرية مجال الدراسة يتحدد ضمن محور اندماج تكنولوجيا الاتصال والمجتمع، وكذا نسق التصور في تشخيص وتحديد ممارسة الاتصال التفاعلي (*La communication interactive*) كقيمة، وباعتبار تكنولوجيات الاتصال مؤسسات للتنشئة ذات طبيعة اجتماعية وثقافية "أخلاقية وتربوية"، هذا يتطلب تحليل العلاقات المكثفة والغموض مجال الاستخدام وإعادة قراءة وتفعيل المضمون بمستوى قيمي.

¹⁾ *marchal mcluhan: Quenian fiore. The median is the massage. An inventory. N.Y. bantam books. 1967. P.35.*

وفي هذا السياق وضمن هذا النسق تعتبر "الاختراعات مؤثر محوري وأساسي على بنية المجتمع (*La structure de la société*)، فالموضوعات والجمهور يؤثران على ما نقوله تلك الوسائل، وإن تطور وسائل وعمليات الاتصال مرتبط بحياة الناس وبأنماط الحضارة الإنسانية على اختلاف الأمم وتباين الأجيال"،⁽¹⁾ وعليه حتمية النظر إلى تكنولوجيات الاتصال من حيث أنها مؤسسات لنشر المعلومات المختلفة، والاهتمام أكثر بقراءة مضمونها من حيث عملية تشكيل المعلومات عند مستوى قيمي، وتحليل طبيعة هذه التكنولوجيات نظرا لتعدد الاستخدامات الاجتماعية (*Usages sociaux*) الأكثر تواترا لدى أفراد المجتمع المعاصر).

وعليه حتمية تحليل غموض العلاقة بين ثقافة المجتمع وتكنولوجيا الاتصال الحديثة، ودور الوعي الاجتماعي (*conscience sociale*) في التفاعل بين المتغيرين، وتفكيك إشكالية اعتبارها أدوات للتنوع أو التجانس الثقافي أو التغير الاجتماعي، فالنظرية الحتمية التكنولوجية لم تأخذ في الاعتبار الاختلاف الثقافي (*La différence culturelle*) من حيث التركيبة والخصوصية، كما أن العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والمجتمع وحسب

⁽¹⁾ منال المزاهرة: نظريات الاتصال، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، 2011م، ص.361.

(louis mumfrod) لا تفرض التغيير ولكنها تهيأ الظروف، والتغيير الاجتماعي نفسه مرتبط بأسلوب استخدام الفرد للتكنولوجيا.⁽¹⁾

وضمن هذا النظام التفسيري فخدمة الانترنت (*Internet*) كبنية محورية ضمن النسق التكنولوجي قد تحقق قوتها على مستوى سمات التقنية الخاصة بها، كما أن تراكم وكثافة التفاعل (*l'intensité de l'interaction*) يتأسس بشكل كبير حسب طبيعة التكنولوجيا، وارتباطه بالتشكيل الاجتماعي قد يعود كذلك إلى طبيعة الجمهور وللمضمون الثقافي وللبيئة الاجتماعية وكذلك رغبات وحاجات الفرد، ومن منظور قيمى يبقى الهدف الأساسي بين متغير التكنولوجيا والمجتمع يتمثل في الارتقاء بعملية الاستخدام إلى مستوى القيمة.

III. النظرية الحتمية القيمة: (*la théorie du déterminisme de la valeur*)

المقاربة السوسيولوجية لمتغير القيم (*valeur*) ضمن حقل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة ومن منظور النظرية الحتمية القيمة، تتمثل في مكانة القيمة للأنساق والبنىات (*structures*) ضمن محور النسيج المجتمعي، المشكلة لتحديد الأدوار وتوظيفها وبناء شبكة من العلاقات وحصانتها والارتقاء بها، وذلك وفق علامات استدلال قيمية تساهم بشكل أساسي في عملية التنظيم الاجتماعي.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص. 78.

وباعتبار القيم ضمن محور النظام التفسيري (*systeme explicatif*) للنظرية الحتمية القيمية هو اعتبار القيمة ما يسمو ويرقى من الدلالات ومصدرها المعنقد الديني "القرآن الكريم محور مركزي للنظرية"، تهتم بتحليل المضمون على أساس: من؟ ماذا؟ لمن؟ في أية وسيلة؟ وبأي تأثير؟ وعليه فالنظرية الحتمية القيمية أداة منهجية تدرس مدى حضور المنظومة القيمية في الحقل الاجتماعي، ويمكن أن تتجسد في سلوك الفرد (*le comportement individuel*) بالأبعاد الآتية:⁽¹⁾

- البعد الإيماني: الإيمان بالله، أداء العبادات.
- البعد التواصل: حسن التواصل مع الآخر.
- البعد الزمني: احترام الوقت.
- البعد المكاني: الاهتمام بالفضاء العام.
- البعد اللساني: توظيف الكلمات الإيجابية القيمية.
- البعد النفسي: ضبط النفس.
- البعد الاجتماعي: التفاعل.
- البعد الاقتصادي: احترام العمل.
- البعد التربوي: حب العلم.

⁽¹⁾ عبد الرحمان عزي: منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2012م، ص.85.

- البعد السياسي: الشورى.

- البعد الجمالي: الذوق.

- البعد الإنساني: حب الإنسان كإنسان واحترام التنوع الثقافي.

وعليه فحتمية مقارنة الموضوع المعقد "المنظومة القيمية في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال" يتحدد في مدى تفعيل القيمة باعتبارها الطاقة المعنوية الروحية في تعبير مالك بن نبي، وباعتبارها في المرحلة التاريخية الحاضرة معطلة ودون فعالية اجتماعية، وكواجب أخلاقي حتمية تفعيل وتوظيف الوعي على مستوى الوحدات النسقية للبناء المجتمعي، والذي يتطلب أحيانا "الشك قبل اليقين" على حد تعبير أبو حامد الغزالي، والتأكيد على الجهد الشخصي وإثبات الوجود في اكتساب القيمة، وحتمية إدراك أن الثابت يرتبط بالحقائق الإيمانية.⁽¹⁾

وضمن سياق قوة تكنولوجيا الاتصال وكثافة بنيتها المعلوماتية وتعدد الاستخدام، ومواصفاتها الاتصالية الأساسية المسيطرة في فترة من الفترات، والتي تؤثر في كيفية التفكير وكيفية تنظيم المجتمعات أكثر من مضمون الرسالة الاتصالية، وعلاقة التحول في تكنولوجيا الاتصال والتحول في التنظيم الاجتماعي،⁽²⁾ فحتمية القيم واجب أخلاقي يتشكل وفق مشاركة واعية من طرف

⁽¹⁾ عبد الرحمان عزي ونصير بوعلي: حوارات أكاديمية حول النظرية الحتمية القيمية في الإعلام، دار الورسم للنشر والتوزيع، 2011م، ص.15.

⁽²⁾ بشير العلاق، مرجع سابق، ص.84، 85.

الجمهور المستقبل،⁽¹⁾ وأن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية الأخلاقية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء، وتفعيل اللغة بشكل أساسي في عملية التواصل ضمن الحقل الاجتماعي.

IV. نظرية الإنماء الثقافي: (Théorie du développement culturel)

النظام التفسيري لهذه النظرية مجال الدراسة يتحدد ضمن محور تفاعل المستخدمين ثقافيا بمضامين تكنولوجيا الاتصال، وعن قوة الثقافة (acculturation) التي يمكن أن تشكلها ضمن المجال الاجتماعي، وتشخيص هيئات تكنولوجيا الإعلام والاتصال (tic) من حيث انتاج المضمون، وتحليل الرسالة وفق علامات استدلالية قيمية (normes sociales)، ومدى دور مضمون الرسالة الإعلامية في تفعيل عملية الوعي لدى المستخدمين.

وفي ظل الحضور المكثف لتكنولوجيات الاتصال الحديثة، نجد نظرية الإنماء الثقافي ومن منظور وظيفي (fonctionnel) تسهم في معالجة محتوى وتأثيرات وسائل الاتصال، كما يحاول أصحاب هذه النظرية تكوين الرأي العام على المدى البعيد "مواقف وأذواق واختيارات"، والكشف عن المحددات والتصورات من خلال تحليل مضمون وسيلة الاتصال.⁽²⁾

وضمن سياق النظرية فقد ربط جورج غرينر (George Ejrebnr) وزملاءه بين كثافة المشاهدة وبين سلوك المشاهدين واتجاهاتهم، حيث أصبح

⁽¹⁾ عبد الرحمان عزوي: منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، مرجع سابق، ص. 144.

⁽²⁾ بشير العلاق، مرجع سابق، ص. 82.

المشاهد متغيرا ثابتا في كل الفروض والدراسات الخاصة بعملية الغرس،⁽¹⁾ أي اعتبار الحقل الثقافي (*Le domaine culturel*) مجال أساسي ثابت يتشكل فيه الوعي والإدراك، يرتقي إلى عملية تفعيل ونسج وتنظيم العلاقات الاجتماعية (*les relations sociales*)، أي تتأسس وتتحدد فيه طبيعة الأدوار (*les Rôles*) داخل السياق الاجتماعي بشكل منتظم.

والى جانب ذلك فإنها تساعد المستحدثات التكنولوجية على زيادة وتنوع الرسائل، فهي تزيد من القوة والاختيارات التي تدعم عملية الغرس وأهدافه،⁽²⁾ وكبحوث مستقبلية فإنه يمكن أن تطبق نظرية الغرس الثقافي من خلال علاقتها بوسائل الاتصال الجماهيري الحديثة وأهمها الإنترنت (*Internet*)، حيث يمكن الاستفادة من الأفكار العامة للغرس الثقافي في الكشف عن العلاقة بين الواقع الاجتماعي كما يعبر عنه المضمون الاتصالي بالإنترنت، ورؤية الجمهور لواقعه الاجتماعي ويمكن أن يعتمد هذا الاتجاه على أربع استراتيجيات تتمثل في:⁽³⁾

- دراسة معدل انتشار وتبني الإنترنت في دول معينة وقياس الفجوة الرقمية داخل هذه الدولة.

- دراسة سياسات الحضر والرقابة التي تفرضها هذه الدولة أو تلك لمواقع ومضامين معينة.

⁽¹⁾ محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص. 64.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص. 269.

⁽³⁾ بسيوني إبراهيم حمادة: دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2008م، ص. 119.

- دراسات استخدامات وإشباعات السلوك الاتصالي لجمهور الإنترنت في علاقته بالمواقع المختلفة في الدولة أو الدول التي خضعت للدراسة.
- تحليل الأفكار والنماذج الأكثر تكراراً في هذه المواقع.
- دراسة أثر السلوك الاتصالي نحو الإنترنت على رؤية الجمهور للمواقع الاجتماعية.

V. النظرية البنائية الوظيفية: (*Le structuro- fonctionnalisme*)

المدلول السوسيولوجي للنظرية البنائية الوظيفية يعتبر أن مكانة المجتمع قيمياً تتأسس من خلال عملية البناء والتنظيم، فتتأسق وتكامل وتفاعل الأبنية المشكلة للسياق المجتمعي من حيث تفعيل عملية الأدوار والوظائف (*Rôles et fonctions*) ووفق استدلالات قيمية، تساهم وبشكل محوري في عملية التنظيم الاجتماعي وبناء شبكة العلاقات.

وضمن محور البناء والتنظيم فالنظام التفسيري (*système explicatif*) للنظرية يتم من خلال تحديد وتفعيل الأدوار والوظائف وفق تصورات استشرافية قيمية ومن حيث تكامل الأنساق التنظيمية، فالبناء (*construction*) يتأسس من خلال حصانة وتفعيل النسق (*structure*) على مستوى العلاقات والوظائف، وتحديد عناصر التنظيم والعلاقات التي تتأسس وتتشكل بين العناصر، وأما الوظيفية (*fonctionnalisme*) فتحدد الأدوار التي يقوم بها كل عنصر في

علاقته بالتنظيم، ومدى مساهمة العنصر في الفعل الاجتماعي (*L'action social*) الكلي.⁽¹⁾

ويمكن تلخيص وتوظيف النظام التفسيري للنظرية البنائية في:⁽²⁾

- النظر إلى المجتمع على أنه بنية جسدية متكاملة من حيث ترابط عناصره.
- عناصر البنية المجتمعية تشكل وبشكل أساسي استقرار وتوازن المجتمع.
- الأنشطة المتكررة وذات الأبعاد القيمية ضمن السياق المجتمعي تعتبر ضرورة لاستمرار وجوده، وهذا الاستمرار مرتبط بالوظائف التي يحددها المجتمع.

وضمن سياق مقارنة هذه الأفكار مجال الدراسة، فإنه يمكن اعتبار البناء الاجتماعي من منظور النظرية البنائية الوظيفية، مجموعة الأنساق المشكلة للنظام والمترابطة ببعضها بنائياً ووظيفياً، أي وجود تفاعل وتكامل بين العناصر والأجزاء المشكلة لكل من حيث الالتزام بالأدوار.

وعليه فهذا البناء يركز على تحليل وفهم عميق للعناصر والأجزاء وتفعيلها، ومن بين هذه العناصر تكنولوجيات الاتصال الحديثة وبدرجة أولى الشبكة الإعلامية العالمية، وكذا الأفراد المستخدمين لهذه التكنولوجيات الذين يمثلون

⁽¹⁾ مي العبد الله: نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 2010م، ص. 174، 175.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص. 175.

عنصر رئيسي في هذا البناء، كذلك القيم باعتبارها عنصر من عناصر البناء الاجتماعي.

وباعتبار القيم عنصر مشترك في تكوين البناء الاجتماعي والشخصية الفردية فهو من مكونات البنية الاجتماعية، لأنه يتضمن نظام الجزاءات المرتبط بنظام الأدوار في البناء الاجتماعي،⁽¹⁾ وابتعاده عن القيم والمعايير الاجتماعية يؤدي إلى زيادة تعقيد المجتمع وعدم استقراره، ويرى بارسونز (*T- Parsons*) في هذا المجال أن الحياة الاجتماعية تتمثل من خلال معايير وقيم أفراد المجتمع، "واعتبر القيم نقطة مرجعية أساسية لتحليل بناء وعملية الأنساق الاجتماعية".⁽²⁾

وتطبيقاً لهذه الأفكار فتكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة (*tic*) تعتبر أنشطة اجتماعية جزئية تكرارية، تعمل داخل النظام الاجتماعي الكلي، وتتفاعل مع مختلف الأنظمة الاجتماعية الجزئية الأخرى الموجودة في المجتمع، كما ترى التحليلات البنائية الوظيفية أن وسائل الإعلام والاتصال تخدم حاجيات مجتمعية للاستقرار والتكامل والإنتاج.⁽³⁾

⁽¹⁾ مرعي توفيق وآخرون: الميسر في علم النفس الاجتماعي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1984م، ص. 216، 217.

⁽²⁾ فادية عمر الجولاني، مرجع سابق، ص. 86.

⁽³⁾ مي العبد الله: نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، ص. 345.

خلاصة:

كتصور قيمي فمساهمة نظريات الاتصال المنبثقة من الجو المعرفي الغربي محدودة، في تفسير الظاهرة، فهي نظريات تحاكي الفضاء الابستمولوجي الغربي وتخلص إلى القول أن النموذج الحداثي الغربي هو المخرج أو النموذج، والبعض الآخر من النظريات يقارب الموضوع من زاوية الهيمنة، ومنه فالسياق الاجتماعي المعاصر يتطلب قراءات تأملية عميقة تجديدية باعتبار الحركية المجتمعية وفي أغلب المواضع تفتقر نصوص قيمية لا يمكنها أن تعالج الخلل الاجتماعي.⁽¹⁾

وضمن هذا التصور فالدراسة تعتمد النظرية البنائية الوظيفية كمقاربة ارتكازية تكاملية، باعتبار الوظيفة (*fonctionnalisme*) إحدى الأفكار المحورية في دراسة الأبنية المجتمعية واستناداً إلى ما سبق يمكن بناء التصورات الاستشرافية وتوظيف الفكر البنائي الوظيفي مجال الدراسة في النقاط التالية:

- الحقل المجتمعي المعاصر بناء ونظام وظيفي من خلال الدور الفعلي التي تقوم به الأنساق في مجال التنشئة.

- تكامل وتفاعل الأنساق يساهم بشكل بارز في بنية مجتمع المستقبل،

فالبناء يرتكز على تحليل وفهم عميق للعناصر والأجزاء التي تؤلف

البناء العام، ومن بين هذه العناصر التكنولوجيا الحديثة المتعددة

⁽¹⁾ عبد الرحمان عزي ونصير بوعلي: حوارات أكاديمية حول النظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مرجع سابق، ص. 12، 13.

الوسائط وبدرجة أولى الشبكة الإعلامية العالمية، وأفراد المجتمع الذين يمثلون عنصر رئيسي في هذا البناء كما أن القيم عنصر من عناصر البناء والنسق الاجتماعي لها دور في التركيب والحفاظ والتوازن على البناء العام.

- ارتقاء عناصر وأجزاء النسق إلى مستوى القيمة تتحد بمستوى الوعي وبنية التصورات القيمية، فإذا أصبحت القيم نمطية تفتقد الأبعاد الاستدلالية ذات المدلولات الأخلاقية ومبتعدة عن المعايير الاجتماعية الإيجابية السائدة، فإن ذلك سيؤدي وبشكل مكثف إلى زيادة تعقيد المجتمع وعدم استقراره.

ومن جانب آخر ترى التحليلات البنائية الوظيفية أن التكنولوجيات التي يجب أن تبقى وتزدهر، كنظم لوسائل الإعلام والاتصال فهي التي تخدم حاجيات مجتمعية للاستقرار والتكامل والإنتاج،¹ ومن منطلق أسلوب أداء تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة لوظائفها، مرتبط بمتغيرين هما من يحددان الآثار المحتملة يتمثلان في:⁽²⁾

- كثافة وحجم انتشار تكنولوجيا الاتصال داخل المجتمع، ونوع الاستعمالات والإشبعات التي تحققها لأبناء المجتمع.

⁽¹⁾ مي العبد الله: نظريات الاتصال، مرجع سابق، ص.345.

⁽²⁾ إبراهيم عبد الرزاق: الإعلام الجديد "تطور الأداء والوسيلة والوظيفة"، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، ط1، بغداد، 2011م، ص.27.

- مستوى وعي وإدراك المؤسسات الوسيطة يساهم بشكل أساسي في حصانة منظومة القيم وارتقاءها.

وعليه حتمية النظر للبنيات المشكلة للنسق الاجتماعي كرسيد ثقافي بتأصيل سوسيوقيمي، أي المعالجة البنيوية (*Structuralisme*) والتفكيك البنيوي أو الجزئي للبناء المجتمعي بمختلف أنساقه الوظيفية "الأسرة، المدرسة، المسجد"، والقراءات الاستشرافية المنهجية للثقافات الأجنبية دون القيمة ومعارضتها، أو معالجتها وفق معيار مضمون ومحتوى قيمى برصيد تراثى فكرى حضارى إسلامى، أى ربط مضمون الرسالة بالمجال والبعد والوظيفة السوسيوقيمية داخل الأنساق.

ويعتبر "العقل المُكوّن (*Raison constituante*)"، حسب تعبير لالاند هو العقل المنتج لثقافة ما⁽¹⁾، أى تشكيل الثقافة كقيمة يتم من خلال توظيف العقل مجال الحقل الاجتماعى، وتأصيل الاتصال الشخصى الروحى وتفعيل الواجب الأخلاقى وممارسته بمركزية واعية، وتفعيل الآليات المنتجة لها وفق المعايير المنهجية، يساهم بشكل أساسى فى عملية الارتقاء بالذات وإنتاج الثقافة عند مستوى القيمة.

⁽¹⁾ محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربى المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، لبنان، 2005م، ص. 58، 59.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم عبد الرزاق: الإعلام الجديد "تطور الأداء والوسيلة والوظيفة"، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، ط1، بغداد، 2011م.
2. بسيوني إبراهيم حمادة: دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2008م.
3. بشير العلق: نظريات الاتصال "مدخل متكامل"، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م.
4. حمدي حسن: الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام، دار الفكر العربي، مصر، 1991م.
5. صالح خليل أبو إصبع: الاتصال والإعلام للمجتمعات المعاصرة، دار الآرام، ط4، الأردن، 2004م.
6. عبد الرحمان عزي ونصير بوعلي: حوارات أكاديمية حول النظرية الحتمية القيمية في الإعلام، دار الورسم للنشر والتوزيع، 2011م.
7. عبد الرحمان عزي: منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2012م.
8. فضيل دليو: "الاتصال - مفاهيمه - نظرياته - وسائله"، دار الفجر، ط1، القاهرة، مصر، 2003م.

9. محمد عابد الجابري: إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، لبنان، 2005م.
10. محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، القاهرة، 2004م.
11. محمد عبد الرحمان: كيف تؤثر وسائل الإعلام، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، السعودية، 1998م.
12. مرزوق عبد الحكيم العادلي: الإعلانات الصحفية "دراسة في الاستخدامات والإشباع"، دار الفجر، ط1، القاهرة، مصر، 2004م.
13. مرعي توفيق وآخرون: الميسر في علم النفس الاجتماعي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1984م.
14. منال المزاهرة: نظريات الاتصال، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، 2011م.
15. مي العبد الله: نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2006م.
16. مي العبد الله: نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 2010م.
17. ميلفين ديفلير وساندرا بول روكيتش: نظريات وسائل الإعلام، ترجمة: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993م.

18. هريرت.أ.شيللر: المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، العدد 243، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 1999م.

19. وليام ريفرز وآخرون: الاتصال الجماهيري والمجتمع المعاصر، ترجمة: أحمد طلعت البشيشي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005م.

20. marchal mcluhan: Quenian fiore. The median is the massage. An inventory. N.Y. bantam books. 1967.